

السنات
حجى الورد - تاج عمل الجلسه هاتف ١٠٠١١٠
ص. ب ١٣٧ - الهمز اليريدى ١١٤١١
الرياض - الملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
مناجها ورئيس تحريرها محمد الجابري

للإستلام السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
تم الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٩، ١٠ س ٢٣ الربيعان ١٤٠٩هـ - تشرين ثاني/كانون أول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٨م

اشتقاق أسماء المواضع والمدن العربية عند متقدمي العلماء

كانت (سياحة) ممتعة ذهنياً وثقافةً ، في كتاب حافل بالمفيد الطريف من جوانب المعرفة العامة، فلقد حرص ياقوت بن عبدالله الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ (١٢٢٨م) أن يودع كتابه «معجم البلدان» خلاصة ما طلع عليه في مؤلفات من سبقه من العلماء، مما يتعلق بالبلدان والجبال والأودية والقرى والمحال والبحار والأنهار والأصنام وغيرها، فجمع من تلك المؤلفات ما كان مشتتاً ، وأضاف إليها ما كان مهملاً ، حتى أصبح هذا الكتاب (أوحَدَ في بابه) - كما وصفه مؤلفه^(١).

وحلَّت (الدورة الرابعة والخمسون) من دورات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية، فكانت مناسبة طيبةً أتاحت لي معاودة تتبع عدد من أسماء المواضع التي ورد ذكرها فيما سيعرض في تلك الدورة من مواد «المعجم الكبير»، وهو معجم شرع المجمع بتأليفه منذ أكثر من نصف قرن، وأصدر منه مجلدين ضخمين، بلغ فيهما إلى حرف الحاء، وهياً للعرض في جلسة يوم الأحد السابع عشر من شهر رجب ١٤٠٨هـ (٦ آذار سنة ١٩٨٨م) من مواد ذلك الحرف من (ح. د. ب) إلى آخر مادة (ح. ذ. ن) في نحو عشرين ومئة صفحة، ومن بينها اعلام من أسماء القبائل والأشخاص والمواضع مما جُلِّهُ - إن لم يكم كله - ذو ارتباط وثيق بهذه البلاد الكريمة التي منها انبثق نور الهداية ، فأضاء أقطار العالم ، حتى انتشر فيها العلم والعدل والهدى.

كان من بين أسماء المواضع التي وردت في تلك المواد: (حَدَد) الاسم القديم للجبل الطلُّ على بلدة تيماء من الجنوب الغربي، المعروف الآن باسم (عُنَيْم) وكان

مما قرأتُ عنه في أحد المؤلفات أنه مذكور في «التوراة» مقروناً بتبياء، باعتبارهما من أبناء إسماعيل^(٢) فحفزني هذا لمحاولة معرفة الطريقة التي سار عليها العلماء في تحليل أسماء المواضع القديمة التي سبقتُ تدوينَ اللغة العربية - في القرن الثالث الهجري فما بعده - وهي التي يُعبرُ عنها بأنها جامدة ، أو مرتجلة - أي غير مشتقة، ولاشك أن «معجم البلدان» من أحفل المؤلفات وأشملها في هذا الباب ، وقد جعل مؤلفه هذا الأمرُ نُصبَ عَيْنِيهِ منذ أن شرع في تأليف كتابه، فنص في مقدمته أنه ذكر اشتقاق الاسم إن كان عربياً، ومعناه - إن أحاط به - إن كان أعجمياً - فكان أن أمضيتها سويعاتٍ مفرقةً، في تصفح الصفحات الكثيرة في أجزاءه الأربعة، حتى انتهت بي سياحتي إلى قناعةٍ بأن هذا الجانب من جوانب الدراسات الجغرافية المتعلق بتعليل أسماء المواضع القديمة لا يصحُّ الوقوف فيه عند ماخلفه لنا سلفنا الصالح من متقدمي العلماء، بل لا يزال في حاجة إلى دراساتٍ أكثر عمقاً، وأوسع أفقاً، فمجالات المعرفة قد اتسعت، وآفاق العلوم أصبحت غير محدودة بزمان أو مكان، فهي تزداد وتتجدد في كل لحظة. وأولئك العلماء - أسبغ الله على أجدانهم شآبيب العفو والرضوان - قد قدّموا لنا ما استطاعوا تقديمه، من ضروب المعرفة التي أدركوها، فاستحقوا من الله عظيم الأجر، ومنا الاعتراف بفضل السبق مع إجزاء وافر الشكر.

ولقد اتضح لي أن مؤلف «المعجم» - مع كثرة مصادره وتنوعها، مما سرد أسماء أكثرها في مقدمته، وذكر غيرها عند الرجوع إليه - قد بلغت به الثقة بابن الكلبي درجةً حملته على اعتماد آرائه أساساً في تحليل إطلاق الأسماء القديمة على مواضعها المعروفة، مع علمه بمنزلته عند علماء الحديث وغيرهم من مشاهير علماء عصره، ويبدو هذا جلياً في الدفاع عنه - ما وجد إلى ذلك سبيلاً - كقوله بعد إيراد كلام له^(٣): والله درّه ماتنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجةً، وهو مع ذلك مظلوم، وبالقوارص مكلوم. وقوله^(٣): قال ابن الكلبي: إنما سُمِّيَ ذَيْرُ الجهاجم لأن بني تميم وذُبْيَانُ لما واقعتُ بني عامر، وانتصرت بنو عامر، وكثر القتلى في بني تميم، بنوا بجهاجمهم هذا الدَّير، شكراً على ظفرهم - وهذا عندي بعيد من الصواب - وهو مقولٌ على ابن الكلبي، وليس يصح عنه،

فإنه كان أهدى إلى الصواب من غيره في هذا الباب ، لأن وقعة بني عامر وبني تميم ودُبَيَّانَ كانتْ بِشَعْبِ جَبَلَةَ ، وهو بأرض نَجْدٍ وليس بالكوفة . انتهى .

وياقوت أجلُّ من أن يجهل أن ابن الكلبي كغيره من العلماء ليس معصوماً من الخطأ ، وقد نقل عنه من ذلك أشياء كثيرة ، كَعَدِّهِ رُهَاطَ – الوادي القريب من مكة – في بطن ينبع ، وزعمه أنَّ الحِمَى مضافٌ إلى جُرَشَ الذي في الشام ، لا جَرَشَ^(٤) ، وغير ذلك مما ليس هذا موضع بسطه ، ومع هذا فلا شك أن هشام ابن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤/١٠٠٠) من أوسع متقدمي العلماء معرفةً في كل ما يتعلق بأحوال العرب قبل الإسلام ، وله في ذلك مؤلفات تُعدُّ أهمَّ ما ألفَ في موضوعها ، ولولاها لفقد الباحثون أسساً لدراسات كثيرة من تلك الأحوال . كتاب «الأصنام» وكتاب «الخيال» وغيرهما مما يقارب مئة وخمسين مؤلفاً ، وهو – بدون شك – إمام علم النسب بلا منازع ، وعلى مؤلفاته المعوَّلُ في هذا العلم ، ومن أهمها كتابا «جمهرة النسب» و«افتراق العرب»^(٥) .

أما ما يتعلق بالبلدان فقد اطلع ياقوت على كتابين له عنها هما : «اشتقاق البلدان» عدَّهُ من مصادره في مقدمة كتابه – و«أنساب البلدان» نقل كثيراً عن نسخة منه بخط أحد مشاهير العلماء^(٦) ، وإن لم يصرح بمواضع النقل ، وهو فيما نقل من الكتابين لأيميزُ بينهما إلا قليلاً .

ومعلومات ابن الكلبي مستمدة من روافد متعددة ، ما يتعلق بأنساب العرب يظهر أنه اعتمد على مؤلفات أبيه محمد بن السائب المتوفي سنة ١٤٦ ، مع ما أضاف إليها مما وجد مُسَجَّلاً ، أو تلقَّاه بالسماع عن عاصرهم ، وما يتعلق بالبلدان يعول كثيراً على الشرقي بن القُطَاميِّ (الوليد بن الحصين ، المتوفي في منتصف القرن الثاني) وهذا الرجل كانت له حظوة لدى الخليفة المنصور ، بحيث كان يبعثه إلى بعض الملوك^(٧) ، وقد أسند إليه تعليم ابنه المهدي الأدب ، وهو من قبيلة كلب .

وقد أكثر ابن الكلبي النقل عن الشرقيِّ مُصَرِّحاً باسمه^(٨) ، كما نقل عن أبيه محمد بن السائب نصاً يظهر أنه من «التوراة» قائلاً : أخبرني أبي قال^(٩) : رومي وصقلب وأرميني وافرنجي إخوة ، وهم بنو لنطي . . . بن يونان بن يافث ، سكن

كل واحد منهم بقعة من الأرض فسميت به . من هذا النص وأمثاله مما ورد في «التوراة» كما في الكلام على أبناء اسمايل بعد ذكرهم قال: (هذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم) – وَجَدَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ الْمَجَالَ أَمَامَهُ وَاسِعًا لِنِسْبَةِ كَثِيرٍ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ إِلَى شَخْصٍ وَرَدَ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ الْقَدِيمَةِ الْمُدَوَّنَةِ – كَالْتُورَاةِ وَغَيْرِهَا – أَوْ الْمَتَادُولَةِ بَيْنَ الْأَخْبَارِيِّينَ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي لَا تَارِيخَ لَهَا .

وابن الكلبي على درجة من الذكاء ، ومن سعة الاطلاع ، مَكْنَأُهُ أَنْ يَضْعُ – غالباً – كل اسم فيما يناسب له من المواضع ، وأن يحاول ربط تلك الأسماء ربطاً يتفق مع تقاربها في مواضعها ، ووفق ورودها في النصوص أو الأخبار التي اعتمد عليها .

ويظهر من النصوص التي نقلها ياقوت عن كتابيه في البلدان أنه يسير في تأويل أسماؤها في اتجاهات خمسة: –

١ – اعتماده على نصوص قديمة – كالتوراة – وهو حينما يسلك هذا الاتجاه يسير سيراً متماسكاً ، وإن لم يكن مستقيماً دائماً ، ويتضح هذا في نظرتة إلى أسماء المواضع الأعجمية الواقعة في شرق المعمور من العالم ، فهو يراها منقولة عن أسماء أشخاص يرجعون إلى أصل واحد ، ممن عاش في تلك المواضع ، بل قد يحاول الربط بين اسمي موضعين متباعدين ، زاعماً أنها سُمِّيَا بشخصين أَخَوَيْنِ ، وأكتفي بسرد أسماء أورد ياقوت كلامه عنها في «المعجم» وترتيبه يغني عن الإحالة إلى مواضعها: أَرَانَ – في أرمينية – وأصبهان ، وجرزان ، وجيلان ، والرِّيِّ ، والسُّوس في خوزستان – والصين ، وفارس ، وكرمان ، وموقان ، وهمدان – هاؤلاء كلهم يجمعهم نسب واحد ، ويرجعون إلى أصل واحد هو يافث بن نوح ، ومعروف ماورد في «التوراة» عن انحصار سكان العالم بأبناء نوح الثلاثة: سَامٍ وَحَامٍ وَيَافِثٍ .

وهناك أسماء مواضع واقعة في أطراف الجزيرة ونواحي العراق والشام ، ومنها ماله ذكر في «التوراة» أو في شروحها ، مثل آمد وأيلة والبلقاء ، ودومة الجندل ، وَعَدَنَ ، وَعَمَّانَ – بضم العين وتخفيف الميم – وهَيْتَ ، وتلك البلاد انتشر فيها

أبناء إبراهيم الخليل، وإذن فتلك أسماء أشخاص منهم، سميت بها تلك
المواضع، ودمشق سميت بدمشق بن قالي المتصل النسب بسام بن نوح الجد
الأعلى لإبراهيم، وهذا لا ينفي وجود من لا ينتمي إلى إبراهيم قد عاش في هذه
البلاد، كصيدون وهو من أبناء كنعان بن حام، وبه سميت صيداء، أما غزة التي
سميت بها المدينة المعروفة فهي امرأة صور، الذي بنى مدينة صور، ولكن الذي لم
يتضح ملمح ابن الكلبي فيه هو قوله عن (فلسطين): سميت بفليشين. . من بني
يافت بن نوح، ثم عُرِّبَتْ، فلماذا نسب هذا الموضع إلى أحد بني يافت .
هذا وأمثاله — مما لا يتسع المجال لذكره — مما تأثر به ابن الكلبي بما عَرَفَ أو
نقل له عن «التوراة».

٢ — أما ماله صلة بأخبار القصاصين من أسماء المواضع مما يتعلق بتاريخ الأمم
التي عاشت في الجزيرة ثم بادَتْ كالآراميين (بني إرم) والعمالقة وغيرهم ممن لم
تُدَوَّنْ سِيرُهُمْ وأخبارُهُمْ فلا بن الكلبي — فيما يرويه عن أبيه أو غيره من شيوخ —
طريقة تدلُّ على خصب قريحة، لا تقف عند حدِّ نسبة الاسم إلى شخص ينتمي
إلى إحدى تلك الأمم، بل تحاول إيجاد تقاربٍ بين الأشخاص يتفق مع تقارب
المواضع المسميات، كما في هذا الخبر الطريف الذي أورده صاحب كتاب
«المناسك»^(١٠): هشام بن محمد عن أبيه قال: سُمِّيَ جَبَلًا طِيَّءٌ أَنْ سَلَّمَى بِنْت
حام بن حي، من بني عمليق عَلِقَهَا أَجَأُ بْنُ عَبْدِالْحَيِّ مِنْ بَنِي عَمَلِيْق، وَكَانَ
الرَّسُولُ بَيْنَهُمَا حَاضِنَةً لَهَا تَدْعَى الْعَوْجَاءَ، فَهَرَبَ بِهَا وَبِحَاضِنَتِهَا إِلَى مَوْضِعِ جَبَلِي
طِيَّءٍ، وَبِالْجَبَلَيْنِ قَوْمٌ مِنْ عَادَ، وَكَانَ لِسَلْمَى إِخْوَةٌ هُمُ الْعَمِيمُ وَالْمُضِلُّ وَفَدَكُ
وَفَائِدُ، وَالْحَدَثَانُ، فَخَرَجُوا فِي طَلْبِهِمْ، فَأَخَذُوا سَلْمَى فَوَضَعُوهَا عَلَى الْجَبَلِ،
وَكَتَفَ أَجَأٌ عَلَى الْجَبَلِ الْآخَرَ، وَقَطَعَتْ يَدَا الْعَوْجَاءِ وَرَجَلَاهَا فَوَضَعَتْ عَلَى جَبَلٍ
آخَرَ، ثُمَّ قَالَ الْإِخْوَةُ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ إِلَى قَوْمِنَا أَبَدًا، فَمَضَى الْعَمِيمُ إِلَى نَاحِيَةِ
الْحِجَازِ، وَأَقْبَلَ الْمُضِلُّ إِلَى مَوْضِعِ الْقَاعِ، وَاسْتَنْبَطَ بِهِ بَثْرًا وَأَقَامَ حَتَّى مَاتَ،
وَلَحِقَ فَدَكُ بِمَوْضِعِ فَدَكٍ فَسَمِيَ بِهِ، وَلَحِقَ فَائِدُ بِالْجَبَلِ الَّذِي سَمِيَ فَائِدُ بِطَرِيقِ
مَكَّةَ^(١١)، وَلَحِقَ الْحَدَثَانُ بِحَرَّةِ الْحَدَثَانِ فَسَمِيَتْ هَذِهِ الْمَوَاضِعُ بِهِمْ، وَهِيَ مَنَازِلُ
طِيَّءٍ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

وكما نقل ياقوت^(١٢) عنه عن الشرقي : الرَّبْدَةُ ، وَرُودُ وَالشُّقْرَةُ بنات يُثْرَبُ بن قانية بن مهلائل بن إرم ، ونقل عنه : سميت زباله بزباله بنت مسعر ، امرأة من العمالقة نزلتها ، وسميت طَمِيَّةُ بطميَّة بنت جام من بني عمليق ، وأرض صُبْحٍ بناحية اليمامة سميت برجل من العماليق يقال له صبح .

٣ - والملوك جَمِيرَ قُبَيْلَ ظهور الإسلام من السيطرة والنفوذ بين سكان الجزيرة ما دفع القصاصين ورواة الأخبار إلى التزُّيد فيما يروون عنهم ، والاعتماد في كثير منه على الخيال ، مما يجد الباحث نماذج منه في كثير من المؤلفات القديمة ككتاب «أخبار عُبيد بن شَرِيَّة الجُرهمي» وكتاب «التيجان في ملوك حمير» لابن هشام و«شرح القصيدة الحميرية» لَنَشْوَان وغيرها ، ولهذا فقد وجد ابن الكلبي مرتعاً خصباً في تلك الأخبار ، ولكونه يُمْتُ بنسبه إلى أصحابها إذ هو كليبي قُضَاعِيٌّ جَمِيرِيٌّ ، قحطاني ، وله في الأخبار والحكايات صولات وجولات - فقد صادفت هوى في نفسه .

فسلطان أولئك امتدَّ - على ما يرى ابن الكلبي ومن شايعه من مؤرخي اليمن - إلى جميع أرجاء العالم ، إذ إفريقيس بن صيفي^(١٣) - أحدهم - غَزَا المغرب فلما بلغ (إفريقية) تلك البلاد الواسعة أمر أن تُبْنَى هناك مدينة اشتق اسمها من اسمه ، ثم نقل إليها الناس ، فنسبت تلك الولاية الواسعة بأسرها إلى هذه المدينة ، ولا ينسى الراوي أن يوشَّحَ هذا الخبر بما يُحَلِّيهِ من الشعر ، وأغرب من هذا أنه - عفا الله عنه - لم يَعِدِمَ من مشاهير اللغويين والعلماء من يقفوا أثره في تهويل أمر أولئك الملوك ، ويرى أن نفوذهم بلغ أقصى المعمورة شرقاً بحيث ذكر عن أحدهم وهو شَمِر بن إفريقيس أنه بلغ بلاد الصين في غزواته فَنُسِبَتْ إليه مدينة (سَمَرْقَنْد)^(١٤) ، ولا ينسى ابن الكلبي قُودَادَ أولئك الملوك من نسبة بعض المواضع إليهم فالسَّلْمَانُ الموضع المعروف في شرق الجزيرة في حدود العراق سُمِّيَ باسم سَلْمَانَ الحميري مرَّ بهذا الموضع حين بُعِثَ في جيش كثير يريد شَمِرَ يرعش بن ناشر النعم ... الذي سمي به (سمرقند) لأنه كسر حائطها .

وقد يَعْمَدُ للإغراب - حين يَتَصَدَّى لبيان معاني أسماء بعض المواضع التي

لا يستعصي إدراك اشتقاقها على من لديه أذن إلمام بالاشتقاق اللغوي ، فيحاول إيجاد صلة بين تلك المواضع وبين ذوي المجد التليد من أولئك الملوك الصناديد .

إن قصة الملك الحَمِيرِيّ الذي غزا المدينة ، وعلم من أخبارها قرب بعث النبي الكريم ﷺ ، فسار إلى مكة حاجاً ، قِصَّةُ لها شهرتها عند عامة المؤرخين ، وابن الكلبي شيخ الأخباريين ، وهاهو يدلي بدلوه في تعليل أسماء مناهل الطريق ومنازله التي مرَّ بها التَّبَعُ الحَمِيرِيّ ، ولاتزال معروفة فيما بين المدينتين الكریميتين ، مما نقله ياقوت عن «اشتقاق البلدان» فيما يظهر: —

مَلَلٌ : لما صدر تَبُّعٌ عن المدينة بعد قتال أهلها يريد مكة ، نزل مَلَلٌ ، وقد أَعْيَا ، فسأها مَلَلٌ .

السيالة : مرَّ بها تَبُّعٌ — بعد رجوعه من قتال أهل المدينة — وواديها يسيل فسأها السيالة .

الروحاء : نزل تَبُّعُ الرُّوحَاءِ — بعد رجوعه من قتال أهل المدينة — فأقام بها وأراح ، فسأها الروحاء .

الرُّوَيْثَةُ : نزل تَبُّعُ الرُّوَيْثَةِ ، وقد أبطأ في مسيره ، فسأها الرُّوَيْثَةَ ، من راث يريث إذا أبطأ .

السقيا : لما رجع تَبُّعٌ . . فنزل السُقَيَا يريد مكة ، وقد عطش ، فأصابه بها مطر ، فسأها السُقَيَا .

العَرْجُ : لما رجع تَبُّعٌ يريد مكة رأى دواباً تعرج ، فسأها العرج .

قُدَيْدٌ : نزل تَبُّعٌ قُدَيْدًا فهبَّتْ ريحٌ قَدَّتْ خيم أصحابه ، فسمي قُدَيْدًا .

إلى مالا داعي للإطالة بذكره ، وقد يحاول السير على هذه الطريقة حتى في الأسماء الأعجمية كأن يقول في اشتقاق اسم (قَنْسَرِينَ) البلد الشامي —: مرَّ ميسرة بن مسروق العسبي على هذه البلدة فقال ماهذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال: والله لكانها قَنْ نَسْرٍ ، فَسُمِّيَتْ قَنْسَرِينَ . واعجَبَ للزخشي — العالم

اللغوي – حين يوجه كلام ابن الكلبي أو يحدِّث حذوه ، فيقول: نقل من القنسر
بمعنى القنسرِي وهو الشيخ المُسنُّ وُجِعَ ، وأمثاله كثيرة !!

ألا يستظرف – بالطاء المعجمة – القارىء ، وقد استظرف – بالطاء المهملة –
تلك التأويلات الساذجة لأسماء المواضع – ماروي عن الشاعر المشهور كثير بن
عبدالرحمن الخزاعي (كثير عزة) ولعله أراد مجازاة ابن الكلبي في تعليل تلك
الأسماء وأمثالها، قال^(١٥): سُمِّيَ (ملل) لتلمل الناس به ، و(الروحاء) لكثرة
أرواحها، و(العرج) لتعرجه، و(السقيا) لما سُقُوا من الماء العذب، و(الجُحفَة) لأن
السيول قد جَحَفَتها، و(قُدَيْد) لِتَقْدُدِ السيول بها، و(مَر) لمرارة مائها .

٤ – أما نسبة المواضع لأناس ينتمون إلى القبائل التي عرفت بعد بدء تدوين
التاريخ العربي من القحطانيين أو العدنانيين، فهي فيما نقل عن ابن الكلبي
قليلة، لأنه يدرك الفوارق الزمنية بين معرفة تلك المواضع والزمن الذي عاش فيه
أولئك الأشخاص، وقد لا يلحظ في كثير من الأحيان ما ذكره هو وغيره فيما يتعلق
بمواقع سكنى القبائل في الجزيرة، كأن ينسب الرُّها – في الجزيرة الفراتية – لرجل
يدعى الرُّها ، يوصل نسبه بخمسة آباء إلى حَلمِ القبيلة القحطانية التي عُرِفَ
انتشارها فيما بين أطراف الشام الغربية إلى مصر^(١٦) ، وينسب صَنْدُودَاء في شرق
الشام لامرأة تدعى بهذا الاسم هي ابنة لحم، فكأنَّ حَمًا الذي تنسب إليه القبيلة
استقر أول ما استقر في هذه الجهة ولما تنتقل القبيلة من الجنوب كأخواتها من القبائل
اليمنية القحطانية، وينسبُ جَبَلِ البِشْرِ إلى رجل عاش في القرن الأول الهجري
كان خفياً لفارس ، فقتله خالد بن الوليد ، وليس مُبَرِّاً من تأثير العاطفة القبلية،
ولهذا فنسبته خصاصة – من أعمال حلب – لخصاصة بن عمرو الكلبي الذي وصفه
بأنه ملك الشام ، تدعو للتأمل .

إن (الثعلبية) الماء الذي كان معروفاً في شرقي الدهناء في طريق الحج في رأي
هشام بن محمد منسوبٌ لرجل من بني دُودَانَ بن أسد يقال له ثعلبة استنبط ماءها
– في قصة طريفة^(١٧) .

وجبل (ثور) في أسفل مكة المكرمة منسوب إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن

طابخة بن الياس بن مضر .

(هَجْرٌ) - الاسم الذي لا يزال يطلق على الأحساء - سُمِّيَتْ عَيْنُهَا بهجر بنت المكفف، من العرب المتعربة، وكان زوجها مُحَلِّمَ بنَ عبد الله ، صاحب النهر الذي بالبحرين، يقال له نهر مُحَلِّم ، وعين محلم^(١٨) .

(ضَرِيَّةٌ) الماء الذي أصبح قرية، في عالية نجد ، سُمِّيَ بِضَرِيَّةِ بنت نزار ، وهي أم عمران بن الحاف بن قضاة ، - والقاريء يدرك أن قبيلة كلب من قُضَاعَةَ - أما الذي قد لا يدركه كل قاريء فهي الْمَزِيَّةُ الخاصَّة بهذا الموضع عند الأخباريين ، فقد رووا أن الله خلق جُؤْجُؤَ آدم من كَثِيبِ ضَرِيَّةِ - ولعل هذا والله أعلم لنقاء تربة هذا الكثيب وصفائها من الشوائب !!

ويقرب من هذا قول صاحب « معجم البلدان » عن دَحْنَا - أو دَجْنَا الموضع المعروف بين مكة والطائف : دَحْنَا أَرْضُ خلق الله منها آدم . ولعله تأثر بالحديث المنسوب إلى النبي ﷺ إن الله استخرج ذرِيَّةَ آدم من ظهره بِدَحْنَا - أو بنعمان الوادي القريب من دَحْنَا - على ما ذكر الطبري في تفسير الآية الـ (١٧٢) من سورة الأعراف في تفسيره ، وفي ذكر خلق آدم من تاريخه . ويبقى البحث عن وجه تخصيص هذا الموضوع بهذه المزيَّة !!

٥ - ويُجْرُّ ذكر آدم للإشارة إلى رفع نسبة كثير من المواضع التي ينظر إليها نظرة احترام أو تقديس إلى أبي البشر ، فجبيل (أبي قُبَيْس) المطل على الكعبة المشرفة ، كَنَاهُ آدم عليه السلام بهذه الكنية - فيما ذكر هشام - حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدي الناس اليوم ، من مرختين نزلتا من السماء على أبي قُبَيْس ، فاحتكَّتَا فَأُورَّتَا نَارًا ، فاقتبس منها آدم .

ولا داعي للإطالة بذكر أمثلة من هذا القبيل ، تتعلق بتعليل أسماء مَنِي ، وجمَعِ (مزدلفة) وعرفة^(١٩) ، وأمثالها من الأمكنة التي لها منزلة في النفوس ، مما كان مروياً عن هشام أو عن علماء ساروا على نهجه .

كما لا داعي للاسترسال في ذكر أقوال كثير من العلماء يظهر أنهم تأثروا بآبِن الكلبي أو من سار على نهجه أو أنهم اقتبسوا من مصادر ذات صلة بالكتب القديمة

المحرقة ك «العهد القديم» وغيره .

ومجمل القول أن المتتبع لأقوال الذين تصدّوا لتعليل أسماء الأماكن العربية من الأخباريين ومن سار على نهجهم من المؤرخين يجد ذلك من شاكلة ماسلف إيراده .

أراني قد أطلتُ السياحة في هذا الكتاب القيم ، فأبعدتُ النَّجْعَةَ عما أردتُ قصده ، ولكن لا يفوتني أن أقرر بأن كلَّ ما ذكرته عن ابن الكلبي أو غيره من العلماء الذين ساروا على نهجه - وما أكثرهم !! - على تلك الطريقة من تعليل أسماء الأمكنة القديمة ، لم أرِدْ منه إلا تنبيه الأذهان إلى ضرورة التعمق بدراسة معاني أسماء المدن والمواضع القديمة في هذا العصر ، الذي توافرت فيه وسائل المعروفة ، وتنوعت ، وأصبح لعلم الآثار منزلته في الدراسات الجغرافية والتاريخية مما لم يتهيأ لأوثك العلماء .

وليس من شك بارتباط أسماء المواضع بساكنيها الأقدمين ، ارتباطاً ذا أثر لاحظه المتقدمون ، ولكنهم توسعوا فيه وبنوا كثيراً منه على استنتاجات قد لا نجد لها أساساً تاريخياً ، ولا ينفي هذا أن جل أسماء الأعلام في اللغة العربية سواء كانت أسماء مواضع أو أسماء أشخاص ذات اشتقاق لغوي من مصادر عربية ، لوحظ في وضعها اتصاف الشخص أو الموضع بصفة مشتقة من مصدر اسمه ، وهذا من الأمور البديهية ، كما أن كثيراً من المواضع سميت بأسماء سكانها سواء كانت قديمة أو حديثة ، إلا أن أسماء المواضع القديمة حين يتجه لدراستها ذوو الاختصاص من علماء الآثار والتاريخ القديم واللغويين ، لاشك أنهم سيضيفون إلى ما أثر عن متقدمي العلماء في هذا الجانب المهم ما يمد ثقافتنا بروافد جديدة تقوم على أسس صحيحة من المعرفة .

ولقد تمنيت قبل خمسة وثلاثين عاماً حين رأيت الأستاذ الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه «المعجم» يتعرض لبعض تعليل أسماء المواضع بطريقة فيها من الجدة والطرافة ما ينأى بها عما عرّف عن متقدمي العلماء تمنيت أن يتسع هذا الاتجاه فيقوم على أسس من الدراسات العميقة الشاملة التي لا ترتكز على الخيال فحسب ، ومن

أمثلة محاولة الشيخ العلابي لتعليل الأسماء قوله^(٢٠): (واصل الجذُر (ابن) تُرهي (ميتولوجي) ومن البقايا الأثرية الدالة (الأبانان) وهما جبلان مُحدَّداً الرأس كالسنان، أحدهما أسود، والآخر أبيض، يمرُّ بينهما وادي الرِّمَّة ، وهو قاع عظيم، تنصب فيه جماعة أودية، وللعرب - كغيرهم كما هو معروف - بإجراء حكايات حول الأماكن والبقاع ذوات الصفة الفريدة ، فيغلب في تقديري - من وراء هذه التسميات وتحليلها - أنَّ الجبلين يرمزان في الخيال العربي الأسطوري إلى الليل بالجبل الأسود ، وإلى النهار بالجبل الأبيض ، ومن بينهما وادي الرِّمَّة الذي يرمز إلى مَسْرَح الحياة، المائل وشيكاً إلى مسرح صِنُوه ، تمشي الرِّمَم فيه مَشْي السَّيْلِ ، وكأنَّ (لمرَّ الغداة وكرَّ العشيِّ) في تصور العربي شكل الطاحونة الرهيبية الدائرة بالموت على الحياة في غير انقطاع أو توقف . وهذا التصور نجد له نظيراً عند الإغريق في حكاية ربة الليل) . انتهى .

أنا حقاً لا أرتاح إلى التوغل في الخيال بتلك الصورة التي عبر عنها الشيخ العلابي ، بل لا أرى للخيال مدخلاً للدراسات التاريخية والجغرافية ، ولكنني أعجبت بهذا الاتجاه الجديد ، لأنه يعبر عن شدة الحاجة إلى تغيير مارسخ في الأذهان من معلومات تلقيناها عن اطمئنان وثقة ، وحسن ظن بسلفنا الصالح دون الاتجاه للبحث عن حقائقها اتجاهاً لا يُقصدُ منه هضم حق أولئك السلف ولا انتقاصهم .

وإنما يراد منها سلوك النهج العلمي الذي يفضي بالباحث إلى ادراك الحقائق الثابتة بيقين واطمئنان ، وإن كان أكثر ما توارثناه من معلومات عن ماضيها البعيد قد تراكم عليه غبار الزمن بصورة حجبت حقيقته .

وأجتزئ القول بعرض عشرة أسماء من مئات أسماء المدن والمواضع القديمة التي استعصى عليَّ فهمُ معانيها واستغلق إدراك الأصول اللغوية التي اشتقت منها .

وما أسعدني حين أرى اتجاه طلاب المعرفة من أبنائنا إلى التعمق في دراسة ما يتصل ببلادنا وبحياتنا .

١ - أُنْهَآ (قَاعِدَة بِلَاد عَسِير) :

لم يرد اسم هذه البلدة فيما اطلعت عليه من المؤلفات المشهورة ، التي تعرضت للحديث عن عمران المدن ، وتحديد مواقع المواضع ، باعتبارها من المدن القديمة ، وعدم ورود اسمها لا ينفي قِدَمَهَا .

ولعلَّ أقدم نصٍّ ورد فيه ذكرها - على ما أعلم - هو ماجاء في كتاب «صفة جزيرة العرب»^(٢١) للحسن بن أحمد الهمداني - الذي عاش عشرين عاماً من آخر القرن الثالث الهجري وبقية حياته في القرن الرابع - وهو نصٌّ يدل على قدم تلك البلدة - ففي الحديث عن (جُرَش وأحوازاها) قال^(٢١): «ويصالي قَصْبَة جُرَش أوطان حَزِيمَة من عَنز، ثم يُواطِنُ حَزِيمَة من شامِهَا عَسِير، قبائل من عَنز، وَعَسِيرُ يمانية تَنَزَّرَتْ، ودخلتْ في عَنز، فأوطان عسير إلى رأس تَيْبَة، وهي عقبه من أشراف تهامة، وهي أبها، وبها قبر ذِي القرنين - فيما يقال - عُثِر عليه على رأس ثلاث مئة من الهجرة .

وأعاد ذكرها بقوله^(٢١): «والدَّارَة وأبها، والحللة والفتيحا، فَحَمَرَة وطَبَب، فأتانة والمُعَوَثُ فجرشة، فالأيداع، أوطان عسير من عَنز، وتسمى هذه أرض طود . انتهى .

ولو عرف ياقوت الحموي - صاحب «معجم البلدان» اسم (أبها) - لما أعياه تعليقه، فمادة (بهو) في الفصحى ذات مدلولات واسعة، واستعمالات كثيرة، ويبقى الاطمئنان بذلك التعليل .

وقد لفت نظري الأستاذ محمد بن عبدالله بن مُحمَّد رئيس النادي الأدبي في أبها إذ نشر في «المجلة العربية»^(٢٢) كلمة استوضح فيها عما ورد في كتاب «كنوز مدينة بقليس»^(٢٣) تأليف وندل قبليس منسوباً إلى سفر (أشعيا) من كتاب «العهد القديم» من (أن الهجن من مدينة إيفا (أبها) ستأتي جميعها من سبا، وستجلب الذهب والبخور) إلى آخر ما ذكر، ويستوضح الأستاذ محمد: هل حقاً كانت أبها تعرف باسم (إيفا) في الزمن القديم؟ وهل كانت مَعْبَراً للرحلات

التجارية وقت ازدهار حضارة سيبا ومعين وما تلاها من عصور جاهلية قبل الإسلام؟

ومع أنني ليس لي من الاطلاع على الكتاب الذي نقل عنه وندل فيلبس النصّ مايمكنني من أن تكون إجابتي مبنية على أسس قوية من المعرفة إلا أن تلك العبارة - كما يظهر قد تصرف العرب فيها تصرفاً زاد اضطرابها - ونصها - كما في «سفر اشعيا» - ٦/٦٠ - : تغطيك كثرة الجمال - بكران - مديان وعيفة ، كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً . ومع غموض العبارة إلا أن الاسم اتضح مُغاييراً لما في تعريب كلام وندل فيلبس ، فهو في مصدره (عيفة) لا (إيفا) ثم قرأت في «سفر التكوين» نصاً صريحاً هو كما في «الاصحاح» - ٤/٢٥ - حيث ذكر أبناء مديان وأنهم : عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعة . وهذا النص يبطل ماتوهمه (فيلبس) من أن (عيفة) هي أبها ، وبصرف النظر عن التحريف الواقع في أسفار التوراة جميعها إلا أن (أبها) لا تقع في أحد الطرق الموصلة إلى شمال الجزيرة من بلاد سيبا ، لارتفاعها عن الطريق العام المار بِجُرَش ، وعن الطريق التهامي - وقد فصلت هذا في كلمة نشرت في إحدى الصحف ، [وانظر «العرب» ٥٢٥] وما أريد الوصول إليه هو أن اسم (أبها) من الأسماء التي لم يتضح لي معناها .

٢ - تُنْفَعَةُ (في منطقة حائل):

يصف متقدمو العلماء هذه المنطقة في العهود السابقة لتدوين التاريخ على ماوصل إليهم من الأخبار المتناقلة بأنها بلاد واسعة ، كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف ، تسكنها بقايا من أمم بائدة كصحار وجديس^(٢٤) ، فانتقلت إليها قبيلة طيء اليمينية القحطانية من وادي طَريب - في منطقة عسير - فاستوطنتها قبل ظهور الإسلام .

وقد بقيت تلك القبيلة في هذه البلاد ، حتى العصر الحاضر ، حيث عرفت قديماً باسم جبلي طِيءٍ ، وحديثاً بـ (جبل شَمَر) وشَمَرُ اسم فرع صغير من فروع القبيلة طغى على أكثر الفروع .

ومن أبرز مواطن الاستقرار المعروفة قديماً في هذه المنطقة (تَنْغَة) — بعد التاء المثناة الفوقية المضمومة نون ساكنة فغين معجمة مفتوحة فهاء تنطق تاء في حالة الوصل — .

وقد عرفت تَنْغَة بأن حاتمًا الطائي قُبر فيها، وكانت تقع في موضع حصين من جبل أجبا، فقد أراد المحرق أحد ملوك الشام من آل جفنة أن يدين له حاتم فامتنع، فأقسم الملك: لِيَقْدِمَنَّ عليه قريته، ثم ليجلنن مواسلاً — الرِّيْطَ (٢٥) مصبوغاتٍ بالزيت، ثم ليشعلنَّها بالنار، ولكنه حُدِّر من ذلك وقيل له: إن تقدم القرية تهلك، فانصرف (٢٦).

وقد عرفت باسم الْقُرَيْة فقال امرؤ القيس:

تَبَيْتُ لِبُؤَيْبِ بِالْقُرَيْةِ أَمْنًا وَأَسْرَحُهَا غِيًّا بِأَكْنَافِ حَائِلِ

وكذا في صدر الإسلام، فقد اعترض أهلها للحسين بن علي أثناء توجهه إلى العراق (٢٧)، فعرضوا عليه أن يقيم عندهم، وقال له الطَّرْمَاحُ بن عَدِي الطائي: إن أردت أن تنزل بلدًا يمنعك الله به فسير حتى أنزلك مَنَاعِ جَبَلْنَا الذي يُدْعَى أَجْبَا امتنعنا به والله من ملوك غسان وجمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذلُّ قط، فأسير معك حتى أنزلك الْقُرَيْة، ثم أقم فينا مابدا لك، فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي ي ضربون بين يديك بأسيا فهم، والله لا يوصل إليك.

ويظهر أن (الْقُرَيْة) أصبح علماً بدل (تَنْغَة) لغرابة هذا الاسم، وصعوبة نطقه، كما في شعر امرئ القيس، ولقربه من الوادي الذي كان معروفاً باسم حائل كان يضاف إليه، لتمييزه عن قُرَيَاتٍ أخرى متعددة، ويبقى البحث في أصل الاسم القديم وهذا ما لم يتعرض له من عرفت من المتقدمين كنصر بن عبدالرحمن الاسكندردي — مصدر ياقوت ومن جاء بعده كصاحب «تاج العروس» بل وقع من بعضهم اختلاف في ضبطه، هل هو بالغين المعجمة أم بالعين المهملة، وصحح صاحب «التاج» الأول، وخطأ صاحب «القاموس» واطلاق الاسم على موضع في حضرموت، ثم نسبة ذلك الموضع إلى شخص ذي عقب

معروف النسبة^(٢٨) يوحي بأنه قد يكون ذا صلة بلغة اليمينيين القدماء الذين ترجع إليهم قبيلة طيء في عصورها القديمة ، وهناك أسماء مواضع في هذه المنطقة لا يرتاح الباحث لما يورده اللغويون عن اشتقاقها مثل : مَوْق ، وَغْضُور ، وَرَمَّان ، وَأَجَأ ، وغيرها .

٣ - تيماء :

ويحاول اللغويون إيجاد صلة بين اسم تيماء البلدة هذه وبين مادة (ت . ي . م) في اللغة العربية الفصيحة ، فيقول الأزهري : المتيمُّ المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء لأنها يُضَلُّ فيها ، وقال الأصمعي : التيماء الأرض التي لاماء فيها ، وقد يكون لهذا أصل من الناحية اللغوية ، ولكن البلدة كانت معروفة قبل بدء تدوين اللغة العربية بأحقاب طويلة ، فقد ذكرت في «التوراة»^(٢٩) وفي أخبار حروب موسى - عليه السلام - للعالمقة^(٣٠) .

ولكن الذي لاشك فيه أن نصوص التوراة التي وصلت إلينا محرفة ، ولا يمكن الاطمئنان إلا إلى ما ثبتت لدينا صحته من قبل علماء ذوي اختصاص بالدراسات الأثرية واللغوية .

٤ - جُرَش (قاعدة بلاد الأزدي في صدر الإسلام) :

وفي منطقة عسير عرفت هذه المدينة في العهد الجاهلي ثم في صدر الإسلام ، وصفها متقدمو المؤرخين بأنها مدينة عظيمة حصينة وولاية واسعة^(٣١) ذات صناعة وزراعة ، فقد أرسل أهل الطائف إليها من يتعلم صناعة المجانيق حين علموا أن الرسول ﷺ عزم على غزوهم ، وعُرف بها نوع من أجود أنواع العنب يدعى (الجُرشي) وبجودة أديمها .

وقد فتحت مدينة جُرَش في العهد النبوي صلحاً ، وقدم وفد من أهلها على رسول الله ﷺ فأسلموا فقال لهم - فيما يرويه ابن سعد وغيره من أصحاب السير - : «مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاءً ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانةً ، أنتم مني وأنا منكم» وجعل شعارهم (مبروراً) وحمى لهم حول

قريتهم . وبقيت معروفة في صدر الإسلام ، حيث نسب إليها - في من نسب - السيدة الخيزران ، زوجة الخليفة المهدي وأم ولده وصاحبة الآثار العمرانية في طريق الحج العراقي ، وفي مكة حيث عمرت دار الأرقم التي كان يجتمع فيها المسلمون بالرسول ﷺ في أول الإسلام ، فعرفت الدار بها ، وتوفيت سنة ١٧٣ (٣٢) .

وبقيت المدينة معروفة حتى القرن الرابع الهجري حيث وصفها الهمداني (٣٣) بأنها كورة نجد العليا ، واعتبرها قاعدة لما حولها من الأودية والقرى ، يضيفها في التحديد إليها ، ولكنها اختفت من الوجود في عصر متأخر مجهول ، وانتقل سكانها المعروفون باسم (العواسج) إلى ثني من أثناء وادي بيثة عرف باسم (وادي ابن هشبل) .

ويرى أحد المتأخرين من الباحثين (٣٤) أن زوال تلك المدينة بسبب ثورة بركان كان بقرها يعرف باسم (حمومة) حيث تبدو صخور تلك الأكمة سوداء ، كأنها مصهورة ، ومن ذلك اشتق اسم (حمومة) فهو كما قال الهمداني (٣٥) : «جُرَشُ في قاع ولها أشرافٌ غربية منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شريقها ، وبينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء - حمومة وحممة وكولة - .

ولا تزال آثار جرش معروفة جنوب شرق مدينة خميس مشيط بنحو خمسة عشر كيلاً (٣٦) ، أما اسم جُرَش الذي عُرفَ به المدينة فليس من المستبعد أن يكون اسم أول من سكنها ، ككثير من المدن والأودية الواقعة في جنوب الجزيرة .

ولكن الطريف في ذلك ماجاء في كتاب «أنساب البلدان» لهشام بن الكلبي - كما نقل ياقوت (٣٧) : «جُرَشُ قبائل من أفناء الناس تَجْرَشُوا ، وكان الذي جَرَشَهُمْ رجل من جَمِيرَ يقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له عليه حمل شعير ، في يوم شديد الحر ، فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبهُ ، فحلف لئن ظفر به ليذبحه ، ثم ليجرشَنَّ الشعيرَ وليدْعُونَ على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشيّاً !!

ومع سذاجة هذا التعليل فإنه لا ينطبق على الواقع من حيث موقع جُرَشُ ،

فذاً القصص - وهي جبال لاتزال معروفة تبعد عن جرش جنوباً شرقياً بما يزيد على مئة كيل ، وهي في أعالي وادي طريب^(٣٨) ، ولكن أبا المنذر - والله يعفو عنه - يأتي بالعجائب الغرائب - ولعل منها ما ذكر في تعليل جَرَش - بفتح الجيم - الموضع الأثري القديم في الشام (الأردن) فقد نسبه لرجل يدعى جَرَش بن عبد الله ، وصل نسبه بقبيلته كلب .

٥ - حَجْرُ (قاعدة بلاد اليمامة) :

المدينة التي قامت الرياض على انقاضها^(٣٩) ، لقد كانت من أقدم المدن في قلب الجزيرة ، وكانت تعرف باسم الخضراء خضراء حَجْرٍ ، وهي حاضرة قبيلة طَسَمٍ ، والخِضْرَمَةُ في الخَرْجِ حاضرة جَدِيسَ^(٤٠) ، والقبيلتان من الأمم البائدة . وبعد أن خلفتها قبيلة بني حنيفة بقيت حَجْرُ قِصْبَةَ اليمامة ، ثم أصبحت في صدر الإسلام سُرَّةَ اليمامة ، ومنزل السلطان والجماعة ، ومنبرها أحد المنابر الأولية : مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة ، وجلُّ أهلها بنو عبيد من بني حنيفة ، وبها من كل القبائل^(٤١) .

ويعلل متقدمو العلماء اسم حَجْرٍ بأن عُبيدَ بن ثعلبة سيدَ بني حنيفة عثر على القصور والحصون ، وحدائق الأشجار والنخيل ، خالية بعد فناء طَسَمٍ وِجَدِيسَ ، فاحتجر ثلاثين قصرآ ، وثلاثين حديقة ، وسأها حَجْرآ ومنع النزول فيها إلا لمن كان من ولده لصلبه - في قصة طويلة معروفة^(٤٢) - إلا أن هذا التعليل أقرب إلى الخرافة منه إلى الواقع ، فاسم (حجر) كان معروفاً في عهد طسم قبل سكنى بني حنيفة لهذه البلاد ، الذي لا يسبق زمن ظهور الإسلام بأكثر من قرنين - في القرن الخامس الميلادي^(٤٣) ، وكلمة (هَجْر) على ما ذكر بعض العلماء يقصد بها البلدة بلغة العرب العاربة فمنها هجر البحرين وهجر نجران ، وهجر جازان^(٤٤) ، وكل بلد تماره البادية فهو هجرهم^(٤٥) ، والهاء والحاء حرفان حَلَقِيَّانِ يتعاقبان في كثير من الكلمات ، وقد يقال : بأن المتكلم يؤثر التسهيل عند الابدال وحرف الهاء في النطق أسهل من حرف الحاء ، وهذا صحيح ولكن ليس قاعدة مطردة .

٦ - خيبر :

اسم الواحة المعروفة الواقعة في الحرة المعروفة بها في الشمال الشرقي من المدينة المنورة، وقد اختلف المتقدمون في تعليل هذا الاسم فمنهم من يرى اشتقاقه من قولهم أرض خبرة أي طيبة الطين سهلة^(٤٦)، ومنهم من زعم أنه اسم رجل من العماليق هو أول من نزل هذه البلاد، وهو خيبر بن قانية بن عبيل بن مهلائل بن ارم^(٤٧)، وهناك من يرى أن الكلمة عبرية تعني الحصن، ولاشتغال هذه البلاد على حصون سموها (خيابر) واحدها خيبر، ويؤيد هذا بعض الباحثين في عصرنا.

وأرى أن اسم (خيبر) من الأسماء الموغلة في القدم، ولما جهل اللغويون معناه تكلفوا لتأويله مختلف الأقاويل كعادتهم في أسماء المواضع القديمة، أما القول بأنه مأخوذ من لسان اليهود، وأن الخيابر فيه هي الحصون؛ فمن المعروف أن بلاد خيبر كانت معروفة قبل سكنى اليهود، ويمكن القول بأن كلمة (خيبر) مما وافقت فيه اللغة العبرية اللغة العربية، أو أن لهذه الكلمة من المعاني ما لم يدون في الكتب اللغوية التي وصلت إلينا كأسماء مواضع أخرى في هذه المنطقة، منها ما حاول المتقدمون تعليله، ومنها ما اعتبروه جامداً مثل: (فدك) الواحة الواقعة شرق خيبر في حرّتها، والمعروفة الآن باسم (الحائظ) و(يديدع) الواحة الواقعة جنوب (فدك) والتي تعرف باسم (الحويّط).

(وَضْرَعْد) البلد الواقع شرق (فدك).

وأكثر أسماء حصون خيبر القديمة .

٧ - دومة الجندل (قاعدة بلاد الجوف قديماً) :

اسم قاعدة إقليم الجوف حتى عام ١٣٧٠ - وينطق بضم الدال وفتحها، وقد يقال دوما الجندل^(٤٨)، وأصل هذا ماورد عن ابن الكلبي: لما كثر ولد إسماعيل - عليه السلام - بتهامة خرج دوماً بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة، وبني فيه حصناً، فقيل: دوما، ونسب الحصن إليه مع الاختلاف في اسم ابن إسماعيل هذا هل هو دوما أو دوم، أو دوما . ولكن الحمويّ وقد ذكر كلام ابن الكلبي يورد

خبراً يدل على تأخر حدوث التسمية عن عصر اسماعيل فيذكر أن الأكيدر الملك الكندي كان منزله أولاً بالحيرة - في العراق - وكان يزور أخواله من قبيلة كلب، ويخرج معهم إلى الصيد، فعثروا على مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها، وهي مبنية بالجندل - الحجر - فأعادوا بناءها، وغرسوا بها الزيتون وغيره، وسموها دومة الجندل، تفريقاً بينها وبين دومة الحيرة، والأكيدر أدرك ظهور الإسلام، وأجلاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الحيرة، وياقوت نفسه فاته أنه ذكر أن إنشاء دومة الحيرة كان بعد إجلاء الأكيدر من دومة الجندل، إذ قال: دوما بالكوفة، والنجف محلها، ويقال: اسمها دومة لأن عمر لما أجلي أكيدر دومة - صاحب دومة الجندل - قدم الحيرة فبنى بها حصناً، وسماه دومة أيضاً. ثم ذكر دومة من قرى غوطة دمشق، المعروفة الآن والتي ينطق اسمها (دوما)^(٤٩).

والواقع أن دومة الجندل من أقدم المدن عهداً، فقد ورد اسمها في «التوراة»^(٥٠) وذكرت في الكتابات الآشورية باسم (ادومان) وأن الملك الأشوري سنحريب استولى عليها، وأسر ملكتها سنة ٦٨٨^(٥١) قبل الميلاد، ولقد قدم هذه المدينة تحبط المتقدمون في تعليل اسمها كأمثالها. وبقرها مواضع لا يجد الباحث لأسمائها في المؤلفات اللغوية ما يطمئن إليه في فهمها، وهي بدون شك مقتبسة من جذور لغوية لاتزال مجهولة.

ومنها سكاكة - اسم المدينة الثانية التي أصبحت قاعدة المنطقة منذ عام ١٣٧٠هـ.

وقارا - التي تنطق الآن القارة - ويطلق الاسم على بلدة في سورية.
وزعبل: اسم تل عظيم على مقربة من مدينة سكاكا - كان حصناً، أو معبدآ^(٥٢).

٨ - مكة المكرمة :

البلدة التي قدسها الله بأن وضع فيها البيت العتيق، الذي جعل حجه أحد الأركان التي يقوم عليها الدين الإسلامي ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾^(٥٣) وشرفها بأن ذكرها في كتابه

الكريم بأسماء متعددة، فلا غرو أن يحاول علماء اللغة - ما استطاعوا - في اختيار المعاني الملائمة لتلك الأسماء، بتأثير عواطف دينية سامية كقولهم:

١ - سميت مكة: من المَكَاكَةِ وهي اللَّبُّ والمخ الذي وسط العظم، سميت لأنها وسط الدنيا، ولُّبُها، وخالصها .

٢ - سميت مكة: لأنها تنقص الذنوب وتنفيها .

٣ - سميت مكة: لأنها تهلك من ظلم فيها .

٤ - سميت مكة: لأنهم يمتكئون الماء فيها - أي يستخرجونه - .

٥ - سميت مكة: لأنها تجذب الناس إليها، والملك الجذب .

٦ - سميت مكة: لأنها تمكُّ الجبارين - أي تُذْهَبُ نخوتهم - .

٧ - سميت مكة: لِإِزْدِحَامِ النَّاسِ بِهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: امْتَكَّ الْفَصِيلُ ضَرَعَ أُمِّهِ إِذَا مَصَّهُ مَصًّا شَدِيدًا .

٨ - سميت مكة: لأن العرب تَمَكُّ عند الكعبة - أي تُصْفِرُ صَفِيرَ الْمَكَاةِ الطائر المعروف - مع تصفيق بالأيدي في الطواف .

٩ - سميت مكة: لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هَبْطَةٍ شَبِهَ الْمَكْرُوكِ - وهو إناء معروف - .

١٠ - سميت مكة: لأنه لا يفجر فيها أَحَدٌ إِلَّا بَكَّتْ عنقه، فكان يصبح وقد التوت .

إلى أقوال أخرى لا تخرج عن هذه المعاني .

وللمعاصرين من الباحثين من المستشرقين وغيرهم حول هذا الاسم من الأقوال ما هو أقرب إلى الخيال، ولعل من أطرفها رأيُّ لكاتب عراقي في بحث له عن مكة بعنوان (مكة وحمورابي)^(٥٤) حيث حاول إيجاد صلة بين (بكا BAGA) إليه بابلي كان معروفاً في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ومنه أُخِذَ اسم الإله الكنعاني (بَعْلَبَكَّ) ثم يخلص إلى القول بأنه يَحْمَنُ أن (بك) أُطلق أولاً على مكان المعبود في مكة، ولما كانت أسماء المواضع تؤنث أضيفت إليه علامة التأنيث، فصار (بكة)، ثم عرفت باسم مكة .

وكذلك اختلفوا في معنى اسم (بكة) من أسماء هذه المدينة الكريمة، ورد في القرآن الكريم ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٥٥) فبينما يرى بعض اللغويين أن الميم أبدلت باء ، يرى آخرون تغييراً في المعنى بين الاسمين ، ومن أمثلة الاختلاف:

- ١ - سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة.
- ٢ - بكة اسم لبطن مكة لأنهم يتباكؤون فيه - أي يزدحمون -.
- ٣ - بكة موضع القرية، ومكة موضع البيت.
- ٤ - بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى، وهو بطن مكة المذكور في الآية الكريمة من سورة الفتح.

ولعل أعدل الأقوال في هذا ماروي عن عالم مكة الإمام التابعي الجليل مجاهد ابن جبر من أن الميم والباء يتعاقبان، وبه قال الإمام اللغوي ابن قتيبة^(٥٦) وغيره.

٩ - وَجُّ (الطائف) :

هناك ترادف بين كلمتي (وج) و(الطائف) في نصوص المتقدمين، بينما المعروف الآن اطلاق اسم (وج) على الوادي الذي يخترق مدينة الطائف، منحدرًا من المرتفعات الواقعة جنوب غرب المدينة حول قرية (الوهط) متجهًا صوب الشمال الشرقي حيث يُدعى أسفله (العُرج)، ثم يفيض في الأرض البراح.

ومن ذلك الترادف قول ياقوت في «معجم البلدان»: الطائف هو وادي وَجٌّ، وهو بلاد ثقيف^(٥٧). وقوله - في موضع آخر - : في تفسير الخبر المنسوب إلى النبي ﷺ^(٥٨) - : آخر وَطَاءٍ لَهِ يَوْمَ وَجِّ ، وهو الطائف، وغزوة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ ، ولصاحب «القاموس المحيط»^(٥٩) حول هذا القول اعتراض ليس هذا محل ذكره.

ويتضح مما أورده متقدمو العلماء من أخبار عمران الطائف قدم تسمية الموضع باسم وج، لنسبة هذا الاسم إلى العمالقة - إحدى الأمم المجهول عصرها - بخلاف اسم الطائف المنسوب حدوثه لمن عاش قبيل الإسلام بزمن يسير^(٦٠).

فما أصل تسمية ذلك البلد؟ يلجأ المتقدمون لبيان مثل هذا إلى مايتناقله القصاصون من أخبار الأمم التي عاشت في الجزيرة في عصورها الأولى - ولا ملجأ لهم غير ذلك - فيجدون من الأسماء الشائعة بين تلك الأمم مايتفق مع أسماء المواضع التي هم بحاجة إلى معرفة أصولها، فيرجعونها إليها، وليروح القارئ عن نفسه، هاهو أشهر أقوال رواة الأخبار منهم:

سُمِّيَ وَجَّ (الطائف) بِوَجِّ بن عبدالحق من العمالقة (العماليق) وهو أخو (أجل) الذي سمي به جبل طيء، وهو من الأمم البائدة^(٦١).

ولهذه الصلة بين اسم هذا الوادي الواقع في غرب الجزيرة وبين اسم ذلك الجبل المعروف الواقع في شهاها مايربط الاسمين بأسماء مواضع أخرى هناك، لا يتورع ياقوت - أمطر الله على قبره شأبيب الرحمة والغفران - من نسبته إلى (العلماء بأخبار العرب) بدون تسمية أحد منهم، وهو لا يخرج عما هو معروف عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في أحد كتابيه «اشتقاق البلدان» أو «انساب البلدان»: ذكر العلماء بأخبار العرب^(٦٢) أن أجأ سمي باسم رجل وسمي سلمى باسم امرأة، وكان من خبرهما أن رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبدالحى عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى، فكانا يجتمعان في منزل العوجاء حاضنة سلمى، حتى علم بهما اخوة سلمى وهم الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان، فخافت سلمى وهربت هي وأجأ والعوجاء، وتبعهم اخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى فقتلوا هناك فسمي الجبل باسمها، ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين فقتلوا هناك فسمي المكان بها ولحقوا أجأ بالجبل المسمى بأجأ فقتلوه فيه فسمي به، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم فسار كل واحد إلى مكان فأقام به فسمي ذلك المكان باسمه^(٦٣) - وتقدم الخبر - .

١٠ - يَثْرِب (المدينة المنورة) :

من أسماء المدينة الشريفة طيبة الطيبة، الكثيرة الأسماء، مما يدل على شرف المسمى، وقد ورد في القرآن الكريم حكاية عن المنافقين في غزوة الأحزاب في التحريض على الانصراف عن القتال مع رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين:

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ (٦٤) ووردت آثار في النبي عن تسميتها بهذا الاسم (٦٥).

ويختلف المتقدمون من اللغويين وغيرهم في معنى هذا الاسم وان اتفقوا على قدمه، ونسبته إلى إحدى الأمم البائدة، ويحاول بعضهم اعتباره مشتقاً من مصدر (ثرب) أو ذا صلة به، فيورد ابن الأثير في «النهاية»: يثرب اسم مدينة النبي ﷺ قديمة، فغيرها وسماها طيبة وطابة، كراهية التثريب، وهو اللوم والتعير - انتهى. وَيَلْمَحُ يَأْقُوتُ تَكَلَّفَ اللُّغَوِيْنَ وَتَمَحَّلَهُمْ فِي مَحَاوِلَةِ تَعْلِيلِ الْأَسْمَاءِ وَمَحَاوِلَةِ اسْتِقْقَاهَا مِنْ مَصَادِرٍ فَيَقُولُ: وَلَوْ تَكَلَّفَ مِتْكَفَلُ أَنْ يَقُولَ فِي (يَثْرِبَ) أَنَّهُ (يَفْعَلُ) مِنْ قَوْلِهِمْ لَا تَثْرِبْ عَلَيْكُمْ أَي لَا تَعْيِرْ وَلَا عَيْبْ، وَيُقَالُ أَصْلُ التَّثْرِيبِ الْإِفْسَادُ - إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ - (٦٦).

ولاشك بأن اسم (يثرب) من الأسماء الموغلة في القدم حتى جهل أصلها، فعمد أولئك العلماء إلى القول بأن أول من سكن يثرب رجل من العمالقة (٦٧) (العماليق) وقيل من أبناء إرم - (الآراميين) هو يثرب بن قانية بن مهلائل بن إرم ابن سام بن نوح - وذلك بعد تفرق أبناء نوح.

ومن الطريف أن يحاول ابن الكلبي - فيما يروي عن شيخه الشرقي بن القُطامي - إيجاد صلة قرابة بين يثرب الآرمي وبين مواضع تقع في طريق الحج في نجد (٦٨) فيقول: زرود، والشقرة والربذة بنات يثرب بن قانية بن مهلائل بن رخام بن عبيل اخي عوض بن إرم بن سام بن نوح - على تباعد تلك المواضع.

فزرود - من المناهل المعروفة وهي واقعة في الجانب الغربي من الدهناء شرق بلدة الأَجْفَرِ بِمَنْطِقَةِ حَائِلِ (٦٩) (بقرب خط الطول: ٤٣/٢٨° وخط العرض: ٥٠/٢٧°).

والشقرة - وهي أيضاً معروفة كانت من المناهل فأصبحت الآن قرية تقع غرب الحناكية (نخل قديماً) بنحو ثلاثين كيلاً، ووادي الشقرة يجتمع بوادي الحناكية في حَضْرَواً (٧٠).

والرَبْدَةَ: الموضع الأثري المعروف في عالية نجد (٧١).

وَمَلْمَحُ ابن الكلبي - أو شيخه - في محاولته تلك قد يكون مبنياً على إدراك كون بني ارم (الآراميين) قد انتشروا في البلاد من أعلاها إلى أسفلها، قبل وجود القبائل العربية المعروفة أخيراً، مع جهل زمانهم وانفرادهم بلغة خاصة، منها أسماء هذه المواضع التي يحمل الجهل بمعانيها على اعتبارها أسماء جامدة، والملاحظ أن المواضع كثيراً ماتضاف إلى سكانها، ومن ثم تعلق بها أسماء أولئك السكان، وليس معنى هذا مطابقة قول ابن الكلبي - أو غيره من المتقدمين - في تعليل كل الأسماء القديمة للواقع، ولكنه محاولة لتوجيه آراء أولئك الأجلة من العلماء الذين لا يجد الباحث في هذه النواحي سوى تعليقاتهم، حتى يفتح العلم آفاقاً أخرى من المعرفة .

حمد الجاسر

الحواشي :

- ١ - مقدمة «معجم البلدان» .
- ٢ - «قاموس الكتاب المقدس» ١/٣٦: (ا. اي: ١ - ٣٠ حدد (حدة) أحد أولاد اسماعيل (ا. اي: (٣٠) ويدعى أيضاً حدار (تك: ٢٥ : ١٥) . وانظر «تاريخ العرب قبل الإسلام» . ١/٢٩٢ وقد وهم مؤلفه حين قال: يعرف حدد في الكتب العربية بأدد .
- ٣ - «معجم البلدان» رسم (جوف) و(دير الجماجم) .
- ٤ - المصدر رسم (سواع) و(جرش) .
- ٥ - الأول طبع القسم الأول منه والثاني نقل البكري في مقدمة «معجم ما استعجم» وفي مواضع أخرى وكذا ياقوت فأكثر النقل .
- ٦ - رسم (الرُّها) ٧ - «معجم البلدان» رسم (الغرين) .
- ٨ - المصدر رسم (اران - البلقاء - الريزة - زرود - الصين - هجر) .
- ٩ - المصدر رسم (صقلب) .
- ١٠ - «الأصحاح» ٢٤/٢٥ ونصه: (وهذه أسماء بني اسماعيل حسب موالدهم: نايوت - بكر اسماعيل - وقيدار، وإذْيَيْيل، ومَيْسَام، ومشاع، ودومة، ومسأ، وحدار، وتيا، ويطور، ونافيش، وقدمة، هاؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم) .
- ١١ - ٣٠٥ ١٢ - وفيه ص ٣٠٦: عن هشام بن محمد عن أبيه سميت فيد بفائد بن حام من بني عمليق .
- ١٣ - «معجم البلدان» كل اسم في موضعه من الكتاب .
- ١٤ - «معجم البلدان» رسم (أفريقية) و(سمرقند) .
- ١٥ - كتاب «المناسك» ٤٤١ وما بعدها ١٦ - «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم .
- ١٧ - «المناسك» ٢٩٣ و«معجم البلدان» وتجد فيه نصوص كلام ابن الكلبي عند ذكر أسماء المواضع .
- ١٨ - انظر عن (عين محم) قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» رسم (معلم) .
- ١٩ - «صفة جزيرة العرب» - ٣٨٧ و«معجم البلدان» .

- ٢٠ - «المعجم» ٤٧/١ طبعة ١٣٧٣ (١٩٥٤م).
- ٢١ - ٢٥٧/٢٥٦ - طبع «دار البيامة» في الرياض سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤م).
- ٢٢ - جزء رجب ١٤٠٨ ص ١١٥ - ٢٣ - ١٢٣ . ٢٤ - «معجم البلدان» رسم أجا .
- ٢٥ - مواسل قمة من قمم أجا مظلة على قرية حاتم، انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية». والرَّيْطُ : جمع رَيْطَة وهي الثياب المنسوجة شرائح .
- ٢٦ - «الأغاني»: ١٠٥/١٦ ط الساسي بمصر.
- ٢٧ - «تاريخ ابن جرير» ٣٠٤/٢ ط أوربة ٢٨ - «تاج العروس» تنع وتنغ .
- ٢٩ - «سفر التكوين» ١٤/٢٥ و«سفر ايوب» ١٩/٦ و«شمال الحجاز» ١٠٠
- ٣٠ - «تاريخ ابن خلدون»: ٤٨/٢ و٥٩٥ .
- ٣١ - «طبقات ابن سعد» ٣٣٧/١ و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢٣٢/٤ و«تاريخ ابن جرير» ٧٢٩/١ و«معجم البلدان» و«تاج العروس» رسم (جرش) .
- ٣٢ - «تاريخ بغداد» ٤٣١/١٤ ٣٣ - «صفة جزيرة العرب» ٢٥٥ .
- ٣٤ - «مذكرات سليمان شفيق باشا مجلة «العرب» س ٦ ص ٧٠٦ .
- ٣٥ - «صفة جزيرة العرب» ٢٥٦ .
- ٣٦ - في مجلة «العرب» س ٦ ص ٢٤٧/٢٤١ - بحث مفصل عن موقع جرش للأستاذ الشيخ سعيد بن عياش الغامدي رئيس محكمة خميس مشيط .
- ٣٧ - «معجم البلدان» رسم (جرش) .
- ٣٨ - «صفة جزيرة العرب» ٢٥٣ و«مجلة «العرب» س ١٨ ص ٩٠ .
- ٣٩ - قرأت في أحد المؤلفات الحديثة أن الرياض كانت حمى لخليل الأمير مقرن بن أجود الجبري في القرن العاشر وكانت تسمى (رياض مقرن) ثم عرفت فيما بعد باسم (الرياض) ولا أدري من أي مصدر هذا إلا أن وجود قصر قديم عرف باسم (مقرن) قد يؤيد ذلك القول .
- ٤٠ - «صفة جزيرة العرب» ٢٨٤ .
- ٤١ - «بلاد العرب» ٤٢ - «معجم البلدان» رسم (حجر) .
- ٤٣ - «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ٤١ .
- ٤٤ - «صفة جزيرة العرب» ١٧٠ ٤٥ - «أبو علي الهجري» ٣٨٦ .
- ٤٦ - «جمهرة اللغة» ٣٥٦/٣ لابن دريد .
- ٤٧ - «معجم البلدان» و«معجم ما استعجم» و«تاج العروس» رسم (خير) .
- ٤٨ - «في شمال غرب الجزيرة» ٥٢٨ .
- ٤٩ - «معجم البلدان» رسم (دومة) ٥٠ - «سفر التكوين» ٢١٤/٢٥ و«سفر اشعيا» ١١/٢١ .
- ٥١ - «لمحات عن بعض المدن القديمة» للدكتور عبدالرحمن الأنصاري، مجلة «الدارة» ج ١ ص ٨٢ ففي «سفر التكوين» الاصحاح ال ٢٥ .
- ٥٢ - «في شمال غرب الجزيرة» ١٤٧ .
- ٥٣ - سورة آل عمران الآية ٩٧ .
- ٥٤ - كتاب «تاريخهم من لغتهم» عبدالحق فاضل . ٢١/٧ وزارة الإعلام العراقية سلسلة دراسات (١٧٧) سنة ١٩٧٧ .
- ٥٥ - سورة آل عمران الآية ٩٦ . ٥٦ - «معجم البلدان» رسم (بكة) .
- ٥٧ - «تاج العروس» رسم (بك) . ٥٨ - رسم (الطائف) .
- ٥٩ - رسم (وج) .



شِعْرُ الْقَحِيفِ الْعُقَيْلِيِّ

[وهذا شاعر آخر من شعراء هذه البلاد يتصدى لجمع شعره عالم محقق جليل واسع الاطلاع له جهود مشكورة في جمع ما تشتت من أشعار المتقدمين هو الأستاذ الدكتور حاتم الضامن ، أما الشاعر فهو القحيف بن خمير العقيلي عاش في بلاد قومه بني عقيل في نواحي الأفلاج ، وقد سبق أن تصدى المستشرق الألماني الدكتور سالم الكرنكوي المعروف قديماً باسم فريتس كرنكو لجمع شعره ونشره في مجلة « المجمع الآسيوي البريطاني » سنة ١٩١٣ من ص ٣٤١ إلى ٣٦٨ .

وقد حاولت اضافة شيء إلى ما جمعه الاستاذ كرنكو ، فنشرت في مجلة « العرب » س ١ ص ٤٠٦ إلى ٤٠٨ و٥٥١ و١١٥٥ .

ولكن محاولة الدكتور حاتم الضامن كانت أجدى وأنفع .

ولهذا ترى مجلة « العرب » أن تحذف قراءها بما قام به الدكتور الضامن حيال هذا الشاعر المقل ، ممثلاً في مقدمة ضافية عن حياة الشاعر وتحليل موضوعات شعره ، ثم بجمع ما استطاع جمعه اعتياداً على ما سبقه من محاولتين لجمع ذلك الشعر ، مع تميز عمل الدكتور الضامن بتخريج ذلك الشعر . ولقد عني الأستاذ الدكتور شاكرا الفحام بالشاعر القحيف واخباره وأشعاره قبل ثلاثين عاماً ، كما أشار إلى ذلك في بحث نشر في مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » (مج ٦٢ ج ٣ - ذو القعدة ١٤٠٧هـ / تموز ١٩٨٧م ص ٦١٥ / ٦٢٩) ويظهر ان الدكتور شاكراً اكتفى بعمل الاستاذ الدكتور الضامن مع الاشارة إلى تخريج بعض أبيات وردت في مصادر لم يوردها الدكتور الضامن .

ولصلة بحث الدكتور شاكرا بهذا الشاعر ترى مجلة « العرب » في نشره مما يكمل جوانب الموضوع . وها هو ما اقام به استاذنا الجليل الدكتور حاتم الضامن من دراسة وجمع لشعر القحيف نقلاً عن مجلة « المجمع العلمي العراقي » : [م ٣٧ ج ٣ ص ٢٢٢ إلى ٢٥٣] وهذه المجلة مما لا يتسنى لكل باحث الاطلاع عليها بسهولة ويسر [.

من شعراء العصر الإسلامي القحيف بن سليم العقيلي ذكره الجمحي في الطبقة العاشرة وهم أربعة رهط . مزاحم بن الحارث العقيلي ويزيد بن الطثرية

-
- ٦٠ - انظر الخبر مفصلاً في المؤلفات المخصصة لتاريخ الطوائف لابن فهد والعجمي والفاكهي .
٦١ - «معجم البلدان» رسم الطوائف و«تاج العروس» رسم (أجأ) . ٦٢ - المصدر رسم (أجأ).
٦٣ - الخبر مفصل في كتاب «المناسك» ٣٠٥ وهو مما رواه ابن الكلبي عن أبيه .
٦٤ - سورة (الأحزاب) الآية الـ (١٣) ٦٥ - «وفاء الوفاء»: ١١/١ .
٦٦ - «معجم البلدان» رسم (يثر) ٦٧ - «تاج العروس» رسم (ثرب).
٦٨ - «معجم البلدان» رسم (زرود).
٦٩ - «المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة» رسم (زرود).
٧٠ - كتاب «المناسك» ٥٢١ .
٧١ - للدكتور سعد الراشد الباحث الأثري المعروف في كلية الآداب جامعة الملك سعود مؤلف عن هذا الموضوع ، من منشورات الجامعة .

وأبو دُوَادِ الرُّوَاسِي والقحيف العقيلي ، وهذه الطبقة كلها من بني عامر بن صعصعة^(١) . وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام^(٢) . وقال عنه صاحب «المؤتلف والمختلف» انه شاعر محسن كثير الذب عن قومه^(٣) ، وكان يُشَبَّبُ بخرقاء التي كان ذو الرمة يشبب^(٤) بها ، ونسبه كما نقله صاحب «الخزانة» عن «الجمهرة» و«العباب» للصاغاني هو : القحيف (بضم القاف وفتح المهملة) ابن حُمَيْر (بضم المعجمة وفتح الميم) بن سُلَيْم (بضم السين وفتح اللام^(٥)) . ومن الغريب أن يذكر البغدادي في مكان آخر من «الخزانة» بانه شاعر جاهلي^(٦) ، وهو وهم كما أرى : ومن خلال متابعة أخبار القحيف يتضح لنا ان حياته الأولى كانت غير واضحة المعالم ، ولكن الأخبار تذكر رثاءه ليزيد بن الطثرية الذي قتل سنة (١٢٦) وله أخبار مع المهير بن سلمي الحنفي بعد قتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦) كذلك وهذا يؤكد لنا انه كان حياً بعد هذا التاريخ ، ويذكر الشاعر في بعض قصائده ادراك الشيب له ويعبر عن استيائه من الشيبات اللواتي طلعن لأن الشيب داءٌ يكرهه^(٧) .

وتبقى أخباره الخاصة والمتعلقة بأهله أو بيته غير متميزة سوى ما ذكر عن علاقته بخرقاء التي تذكر الأخبار انها تجاوزت تسعين سنة ، وهي اشارة تدلُّ ولو بشكل تقريبي على عمره الذي يكون قريباً من سن خرقاء . ثم تقف بعض الأخبار على مجاورته لامرأة من عبس وقد أقام عندها شهراً وهام بها عشقاً ويؤكد هذا الخبر انه كان من أجمل الرجال واشطهم^(٨) ، ويشكو القحيف في بعض قصائده حساده الذين كانوا يغارون من نبوغه وشهرته وهم من ابناء عمه الذين حاولوا أن يفسدوا علاقته^(٩) .

كانت منطقة الفلج وما أحاط بها من البادية هي دار بني كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي جنوبها كانت بلاد قيس ومنطقة الفلج هي المنطقة التي كان يتحرك فوقها شاعرنا ، وتسمى فلج الأفلاج لكثرة زرعها ونخيلها ، وقد أشار إليها الشاعر ووقف عندها وذكر ثمارها ونخيلها وما توزع في أرضها من نبت خضيد ومنظر أنيق وما تربعت فيها من خرد^(١٠) ، وفي ربوع المواضع المتناثرة في هذه المنطقة كان صوت القحيف يرتفع ليذب عن قومه بعد ان استعر أوار الحرب بين

بني عقيل وحنيفة عندما جاءت حنيفة غازية كعباً ، وجاء صربخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها ، فأرسل في عقيل يستمدها فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش بن كعب وافناء خفاجة ، وكان ممن سار معه القحيف ويزيد بن الطثرية فساروا حتى واجهوا القوم فواقعوهم ، وقتل في هذه الواقعة يزيد بن الطثرية فرثاه القحيف بأبيات مجد فيها بطولته ، وبكى شجاعته ، وذكر نخوته ومرءته واستذكر أيامه .

إن التزام الشاعر بالدفاع عن قضايا قومه كانت تنعكس في المشاعر الصادقة التي كان يطوي عليها ضلوعه وهو يرثي ابطالهم . ويمجد قتلاهم ويذكر حسن بلائهم فكانت هذه الومضات المتباعدة التي وقفنا عليها تؤشر الحسن الذي كان يتداخل في نفسه ، واللوعة التي كانت تعتلج في حناياه وهو يبكي اولئك الرجال الأشداء أمثال الشاعر يزيد بن الطثرية الذي كان ينعت بالصنديد والفتى الذي خسرت به القبيلة حامياً من حماها ومدافعاً عن وجودها^(١١) .

وبناء القصيدة عند القحيف ينحو نحواً تقليدياً لأنه يحاول ان يمهّد لكل غرض بما يتناسب معه .

وقصيدة الحرب التي كانت تأخذ حجماً متميزاً من شعره كان الشاعر يبنيها لوازمها وعدتها ويعالج موضوعاتها بأساليبه التي تعطيها الصورة الواضحة ، وتحقق لها المناخ المناسب ، بعد أن يمهّد للأحداث التي سيعرض لها . متخذاً من الحجج ما يبرر له خوضها ، ولعلّ قصيدته العينية التي عثرنا عليها - وهي أكمل من بقية قصائده - تكاد تكون من النماذج الكاملة في هذا الميدان ، فهو يستحضر الهموم بعد ان جرّعه البين السم الزعاف ، وبعد ان تذوق مطعمه الفظيع . ولكن هذه الحالة لم تحمله على ترك السياق العام الذي كانت تسير بموجبه مسارات القصيدة فهو كالشنفري وكغيره من الشعراء الفرسان الذين يردون الماء البعيد في جوف الفلاة التي لا أنيس بها إلا الحمام والقطا . وقد اتخذ من زمام ناقته وعمامته صلة لرشائه حتى يبلغ الماء لبعد قعره . وقد أعيا ناقته التعب حتى كلت عن السير ، وقد أوغل بها في الوادي حلاً وترحالاً ، فبدت عظامها وضلوعها من الهزال ،

ممهّداً بكل هذه الخصائص ليستقل إلى المهير الذي جمع لقبيلته الجموع ، ولكنه ينتهي إلى تمجيد قومه الذين يكونون نعم القوم عند احتدام الوغى ، وفي اشتداد المعركة^(١٢) .

وتمثل قصيدته اللامية التي يمكن ان تكون نموذجاً آخر من قصائده المكتملة صورة البناء التقليدي الذي كان الشاعر يسعى إليه وهو يكشف لنا عن صورة أوضح لقصيدة الحرب التي مهد لها منذ الأبيات الأولى ، ووضع لوازمها وأدواتها التي استخدمها لتكون أكثر إيجاءً ، وأشدّ تأثيراً ، وفي الأبيات وضوح كامل للبيض والنصال والصريخ وحنين النبع والأسل والنهال ومحالفة السيوف وذكر الصافنات وكراديس القبائل ومجاميع الكتائب والنواصي الشعث ، وصياح البيض التي تفرعها النصال . وغيرها من الألوان والأصوات والحركات والمواضع التي تعطي الحرب خلالها ، وتجل للمواقف قدراتها ، وقد اكتملت اللوحة في عرف الشاعر بعد أن استطاع ان يجعلها صوتاً آخر من أصواته الشعرية وملحمة ثانية من ملاحم قبيلته وهي تضارع حنيفة بعد أن كانت حنيفة هي القبيلة التي غزت دياره عدواناً ظانّةً بأنفسها سُدّة البأس ، ومعتقدة بقدراتها علي المصاولة ، ولكن الحرب انتهت إلى غير صالحها فتناثرت ممزقة وتوزعت أقساماً .

ان صوت الشعر الحربي كان يرتفع في قصيدة قحيف دفاعاً عن الحمى ، وإيماناً بمصلحة القوم وحماية عن الأرض التي وهب لها شعره ونفسه ، فكان حقاً من شعراء الحرب ، وكان حقاً من شعراء القضية التي منحها من نفسه ما تستحق ، ومن مشاعره ما جعلها منتصرة^(١٣) ، وهو بذلك يمكن ان يضاف إلى مجاميع الشعراء الفرسان الذين عشقوا البطولة ، وتمثلوا الفروسية وعبروا في مضامينهم الشعرية عن القيم التي كانت تتمثل في هذا الاتجاه ، ولو قيّض لشعر القحيف ان يكتمل لقدم لنا صورة واضحة عن هذا المفهوم الشعري في عصره ، وعلى الرغم من طول هذه القصيدة فان صاحب «المكاثرة» قد أورد ثلاث أبيات ربما تكون جزءاً منها ، وهذا دليل آخر من أدلة ضياع شعره وهو آفة ابتلي بها هذا الشاعر وغيره ، ثم تجاوزت الشعراء إلى الشعر العربي الذي ضاع كثير منه ولازمته هذه الظاهرة في مراحلها الأخرى .

وكان القحيف أميناً على سيادة قومه ، وحامياً لحمى قبيلته ، وكان شعره تعبيراً عن هذا التوظيف وكانت مضامينه تؤكد عمق الاحساس بالانتماء إلى الأرض التي عاش فوقها ، وفي مجابته للمهير بن سلمي الحنفي كانت تتجسد هذه الروح وتتعالى هذه الصيحة ، فكان دون العقيق الموت ورداً وأحمر^(١٤) . وكان قتلى قومه من الشهداء الصابرين^(١٥) وعلى الرغم من الجموع التي حشدتها المهير من حنيفة فإن قومه سيرهبون خصومهم وهم يردون في أيمنهم البيض لامة . وقد تجمعت عقيل وقشير وجعدة والحريش وكلهم ليوث غاب^(١٦) وعندما كانت تتصاعد في نفسه سورة الفخر ، وتعلو همته قدرات الاعتزاز كان شعره يأخذ اتجاهها قومياً حاداً ، وكانت معانيه تلتقي في حدود إيائه الفذ ، وعندها تكون غضبة مضرية^(١٧) ، وتختلط بفخره مروءته وانسانيته التي تعف عند المقدرة وتصفح عند التمكن عزةً وتكرماً ، وهذا ماكان يؤكد الشاعر في بعض مقتطعاته التي بقيت من قصائد طويلة^(١٨) وكثيراً ماكان فخره يأخذ المبالغة تأكيداً لروح الاعتزاز ، وترسيخاً لصوت الشموخ والتحدي^(١٩) ، وكان الشاعر يعبر عن لذة الاشتفاء من الخصوم والتغني بالنصر والحرص على ادراك الثأر وتأكيد قدرة القبيلة في اذلال خصمها واذاقته الهوان ، وتجريعه كؤوس الهزيمة .

لقد تركت أيام الفلج أثرها الواضح في شعر القحيف بعد ان اقتطعت جزءاً من شعره وأخذت حجمها المناسب من قصائده . لأنه حاول ان يتحدث من خلالها عن قدرة قومه الحربية اذ اشتدت فيها سواعدهم ، والتقت قبائلهم وتوحدت سيوفهم ، وارتفعت راياتهم ، وكان اعتزازه بقومه يوحى بعمق الصلة الممتدة في جذور انتهائه ، ويؤكد ولاءه إلى النصر الذي يمكن أن يتحقق وهذا ما دفع صاحب « المؤتلف والمختلف » إلى أن يقول : كان كثير الذب عن قومه^(٢٠) ، ولعل خروجه ويزيد بن الطثرية في مقدمة المقاتلين دفاعاً عن حمى القبيلة ، وذوداً عن كرامة ابنائها يعطي هذا التصور وجهه الواضح ، ويحدد رأي الشاعر في القضايا الحاسمة التي كانت تتعرض لها القبيلة ، وان حرصه على ابلاغ رسالته إلى قريش وأبناء قيس كان يعني تحمله مهام قومه ، واضطلاعاً بالمسؤولية الكبيرة التي كانت تفرضها عليه تبعاته من خلال التزامه الشعري ، وهذا ماكان

يدفعه إلى اداة (حنيفة) القبيلة التي كانت تشكل محور الصراع من قومه وكان ذكرها يقترن بعبارات التهديد والوعيد مثل عتابها بالرماح وغيرها^(٢١) ، وفي الطرف الثاني من الصراع كانت تتردد أسماء قبيلته ووطنها مثل عقيل وكعب وخاصة عندما تشتد زحمة الصراع ، وتتعالى قعقعة السيوف ويحتمد اشتجار القنا . كما أنّ فخره بانتصار قومه كان يقترن أيضاً بتذكيره لخصومه وهم يتساقطون صرعى على النشاش بعد أن ضربوا ضرباً شديداً^(٢٢) أو تركوا صرعى تتباهم القشاعم والذئباب ، وتوزعهم السباع والضباع^(٢٣) ، وكما كانت النشاش تذكره بمواقع الانتصار كانت (النقب) تثير في ذهنه صورة الاقتدار ، وهو يذكر بني حنيفة وما جرى لهم .

وتظل أسماء المواضع التي عرض لها أو وقف عندها تمثل الاشارة الجادة في تعلقه بأرضه وحبها وصلته بكل جزء من أجزائها ، وكان الشاعر حريصاً على تحديد هذه المواقع وهذا ما جعل البلدانين يستشهدون بشعره ، ويعتمدونه في تثبيت هذه المواقع وقد استشهد له ياقوت في « معجم البلدان » بأبيات كثيرة ، فقد ذكر (معدن البرم)^(٢٤) وأصاخ^(٢٥) وخبث^(٢٦) والسيدان^(٢٧) والأوق^(٢٨) والخنوقة^(٢٩) وفلج الأفلاج^(٣٠) وذي بقر^(٣١) وكتمان^(٣٢) والعقيق^(٣٣) .

إن دفاع الشاعر عن قبيلته ، وانصرافه إلى تسجيل مآثرها ألزم شعره بظاهرة تميزه بالفاظ الحرب والسلاح فكان قاموسه مشحوناً بالفاظ الحرب : فالرماح^(٣٤) والحرب^(٣٥) والصارم^(٣٦) والسيوف^(٣٧) والقنا^(٣٨) والدروع^(٣٩) والمغفر^(٤٠) والشهيد^(٤١) واللواء^(٤٢) والظعن^(٤٣) والصرعى^(٤٤) والسبايا^(٤٥) والصنديد^(٤٦) والأسنة^(٤٧) . وغيرها من الألفاظ التي تمثل المعاني البارزة في قصائده . أما غزله فعلى الرغم من روح القتال ، وخوض غمرات الحرب التي عاشت في شعره . وارتسمت في مدلوله الفني ، واتسع حجمها في استخدامه فان ذلك لم يحل دون اظهار عاطفته التي كانت تشرق في ملاحه ابياته ، وحبّه الذي كان يترقق في ظل شوقه ، واحاسيسه التي كانت تُراق على أطراف الفاظه ، وترش وجوه معانيه ، فيزهو في دلالتها الشوق اللامع ، ويزهو في خفقاتها حبّه الأصيل^(٤٨) فخرقاء التي تجاوزت التسعين سنة لم تزد إلا ملاحه في عيني القحيف ، لأنها أصبح من

القبس ، ولأنها تظل تحمل رونق الصبا ، وتعيش الوجه المشرق ، وتضفي على الحياة من روحها ما تجعلها رائعة في كل العيون ، رضية في كل القلوب ، ولأن الشاعر ظل ينظر إليها من خلال نظراته القديمة فبقيت الصورة لا تتغير ، وظلت العيون الخالدة تفيض بمعاني الشباب الفتي ، والنضارة الزاهية ، وهذا ما جعلها غير مرتبطة بالزمن . لأنها تخرج عليه من هذا المنظار ، وتبتعد عن صروفه في هذه العيون ، ولا تقع تحت تأثيره في دائرة الأحداث التي يقع تحت ضغطها الآخرون ، وهذا ما اعطاها صورة الملاحه ، ثم تبدو لنا شخصية ثانية عندما يتحدث إلى امرأة من عبس ، ولكن الاخبار لا تروي لنا بقية القصة بعد أن تنقطع أبيات القصيدة عند البيت الرابع ، وتنتهي معها قصة الشاعر الذي جاور بني عبس ، وأقام عندهم شهراً وهام بالمرأة العبسية ، والأبيات الأربعة يغلب عليها طابع الفتوة والفروسية وتتصاعد فيها عبارات الحرب والشجاعة وربما اتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عن قدرته ، وكانت المرأة فيها شاهداً على فروسيته ، وفي القطعة (٢٥) يذكر أبو الفرج أن بعض الفقهاء نهى القحيف عندما شاهده وهو يجد النظر إلى امرأة فنهاء عن ذلك وقال له : اما تتقي الله ؟ ، ويعبر الشاعر من خلال أبياته التي يرد بها عن فلسفته التي وجد لها طريقاً في تلك الأبيات (٤٩) .

ووقفنا على مقطع من قصيدة له في مدح حكيم بن المسيب القشيري ومدحيه يجاري فيه معاني المديح المتعارف عليها ، ولكن انقطاع الأبيات وضياح القسم الآخر من القصيدة قطع الصورة التي عبر خلالها الشاعر عن منهجه فيه (٥٠) .

ديوانه :

يشير صاحب « الخزانة » إلى ديوان الشاعر بخط محمد بن حبيب (٥١) وكذلك تأتي الاشارة في شرح أبيات « مغني اللبيب » (٥٢) ويشير البكري في « التنبيه » وهو يذكر بيتاً له بانه ثابت في ديوان شعره (٥٣) ، ويبدو أن عوادي الأيام قد اتت على الديوان فطمرته مع المجاميع الأخرى التي لم تظهر حتى يومنا هذا ، وهذا ما دفع المستشرق كرنكو إلى أن ينبري لجمع شعر الشاعر الذي جمع له ثلاثاً وعشرين مقطوعة ونشرها عام ١٩٣١ (٥٤) . ومثله صنع الأخ الأستاذ حمد الجاسر ، حفظه

الله تعالى . وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمها نشر هذا الديوان إلا أن الطبعة جاءت خالية من التخريج والشرح والدراسة التي تعطي هذا الشاعر نصيبه ، وقد استطعنا ان نضيف واحداً وعشرين بيتاً إلى ما جمع الاستاذان الفاضلان مع محاولة دراسة شعر الشاعر وحياته من خلال تحليل الأبيات وابرز الجوانب المتميزة في شعره ، ويبقى فضل السبق لهما .

ان عدد الأبيات التي عثرنا عليها تؤكد مجموعة من الحقائق التي يمكن ان تنتهي إليها . منها ان الصفة العامة عليها صفة الأبيات المفردة والمقطعات التي تعني انها أجزاء من قصائد ، كما ان مقدمة بعض القصائد تؤكد انها مقدمات لاغراض الزم الشاعر نفسه بها ، وان هذه المقدمات كانت مشحونة بالعواطف وهي بلا شك محاولات للوصول إلى الأغراض الأخرى التي تؤدي إلى الغرض الرئيس الذي أراده الشاعر ، ولكن انقطاع الأبيات المفاجيء يوحى بالضياع الذي أصاب القطعة^(٥٦) ، وتتجدد هذه الظاهرة في القطعة رقم (٩) التي لم تبق الأيام منها غير ثلاثة أبيات وقف فيها الشاعر عند المواضيع التي كان يطوف بها ، أو يحن إليها ، وقد تقدمته الحمول الروائح ، وتبقى مقدمات القصائد التي وقف الشاعر عندها دليلاً من أدلة ضياع شعر الشاعر بعد ان وجدناه يباشر الموضوع ، ويقدم له ثم تنقطع الأبيات^(٥٧) .

وشعر القحيف العقيلي الذي كتب عليه ان يظهر للمرة الثالثة وهو بهذه القلة فان أسباباً كثيرة تختفي وراء هذا الشعر الذي يظل يمثل النقطة الأولى في جمع شعره أو العثور على ديوانه الذي أكدّت النصوص وجوده إلى زمن البغدادي (١٠٩٣) للهجرة ، وندعو الله جلّت قدرته أن يوفق العاملين على احياء التراث ، إنّه نعم الموفق .

[الحواشي] :

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------|
| (١) « طبقات فحول الشعراء ٧٦٩/٢ - ٧٧٠ | (٢) « الأغاني » ٨٣/٢٤ |
| (٣) « المؤلف والمختلف » ١٢٩ | (٤) « الأغاني » ٨٣/٢٤ |
| (٥) « الخزائن » ٢٥٠/٤ | (٦) « الخزائن » ٣٤٢/٢ |
| (٧) القطعة رقم (٢٥) | (٨) « الأغاني » ٨٥/٢٤ |
| (٩) القطعة رقم (١٣) | (١٠) القطعة رقم (١٤) |

- (١١) القطعة رقم (٢٢) و(٣٤)
 (١٣) القطعة رقم (٢٣)
 (١٥) القطعة رقم (١٩)
 (١٧) القطعة رقم (٣٠)
 (١٩) القطعة رقم (٣٢)
 (٢١) تنظر القطع رقم ٢٦، ٢٣، ٢٠، ٧، ١
 (٢٣) القطعة رقم (٢) و(٥)
 (٢٥) القطعة رقم (٧)
 (٢٧) القطعة رقم (٩)
 (٢٩) القطعة رقم (١٠)
 (٣١) القطعة رقم (١٥)
 (٣٣) القطعة رقم (١٨)
 (٣٥) القطعة رقم (١)
 (٣٧) القطعة رقم (٥)، (٣٣)، (١٢)
 (٣٩) القطعة رقم (١٨)، (٢٠)
 (٤١) القطعة رقم (٤)
 (٤٣) القطعة رقم (٤)
 (٤٥) القطعة رقم (٣)
 (٣٧) القطعة رقم (٣٣)
 (٤٩) القطعة رقم (٢٥)
 (٥١) «الخزانة» ٤/٥٠
 (٥٣) «التنبية» ١٥٠
 (٥٥) في مجلة «العرب» م ٥ ١٩٦٧
 (٥٧) القطعة رقم (١٤)
- (١٢) القطعة رقم (٢٠)
 (١٤) القطعة رقم (١٨)
 (١٦) القطعة رقم (٢٠)
 (١٨) القطعة رقم (٣٢، ٣١)
 (٢٠) «المؤتلف والمختلف» ١٢٩
 (٢٢) القطعة رقم (١١)
 (٢٤) القطعة رقم (٧)
 (٢٦) القطعة رقم (٩)
 (٢٨) القطعة رقم (٩)
 (٣٠) القطعة رقم (١٤)
 (٣٢) القطعة رقم (١٦)
 (٣٤) القطعة رقم (١)، (١٢)، (٢٦)
 (٣٦) القطعة رقم (١٢)، (٣٢)
 (٣٨) القطعة رقم (١٤)
 (٤٠) القطعة رقم (١٨)
 (٤٢) القطعة رقم (٤)
 (٤٤) القطعة رقم (٢)، (١١)، (٢٠)
 (٤٦) القطعة رقم (١٢)، (٣٤)
 (٤٨) القطعة رقم (٦)
 (٥٠) القطعة رقم (٣٣)
 (٥٢) «شرح أبيات مغني اللبيب» ٣٩٣/٢
 (٥٤) في مجلة «المجمع الآسيوي البريطاني» سنة ١٩١٣
 ص ٣٤١ : ٣٦٨ . The Journal The Royal Asiatic Society
 (٥٦) تنظر المقطعات رقم (١)، (٣)، (٨)

مابقي من شعره

- ١ -

- ١- لعمري لقد أمست حنيفةً أيقنتُ
- ٢- فخلوا طريقَ الحربِ لا تعرضوا لها
- ٣- فياحبذا قيس لذي كلِّ موطنٍ
- ٤- ومن ذا الذي لا يجتوي حربَ عامرٍ
- ٥- لعمري لقد ضاقتْ دِمَشقُ بأهلها
- بأن ليس إلا بالرماحِ عتابها
- إذا مضر الحمراء عبَّ عابها
- تزايل هامم القوم فيه رقابها
- إذا ما تلاقى كعبها وكلابها
- غداة رأوا قيساً ترفُّ عقابها

- ٢ -

- ١- هم تركوا على النَّشاشِ صرعى
- أباحوها القشاعم والذئابا

- ٣ -

أَتَسُونُ يَا حَزَنَانَ طَخْفَةَ نِسْوَةً تُرْكَنَ سَبَايَا بَيْنَ فَيْشَانَ فَالْتَقِبِ (*)

- ٤ -

١- لقد مَنَعَ الفَرَائِضَ عَنْ عُقَيْلٍ بَطَّعِنَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ وَضَرَبَ
٢- تَرَى مِنْهُ الْمُصَدِّقَ يَوْمَ وَافَى أَطْلُ عَلَى مَعَاشِرِهِ بِصَلْبِ

- ٥ -

١- تركنا على النَّشَاشِ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْهَا السُّيُوفُ وَعَلَّتْ
٢- وَبِالْفَلَجِ الْعَادِي قَتَلِي إِذَا التَّقْتُ عَلَيْهَا ضَبَاعُ الْغَيْلِ بَاتَتْ وَظَلَّتْ
٣- قَتَلْنَا عَلَى النَّشَاشِ مِنْهَا عَصَابَةٌ كَرَامًا وَسَمَنَاهَا الْهُوَانَ فَذَلَّتْ
٤- إِذَا مَا الضَّبَاعُ الْجِلَّةُ انْتَجَعْتَهُمْ نَمَا النَّيُّ فِي أَصْلَانِهَا فَاتْمَهَلَّتْ

- ٦ -

قال أبو الفرج : كبرت خرقاء (صاحبة ذي الرمة) حتى جاوزت تسعين سنة ، وأحبت أن تَنفَقَ ابنتها وتُحَطَّبَ ، فأرسلت إلى القحيف العقيلي ، وسألته أن يُشَبِّبَ بها فقال :

١- لقد أرسلت خرقاء نحوي جريها^(١) لتجعلني خرقاء ممن أضلت
٢- وخرقاء لا تزداد إلا ملاحاة ولو عمرت تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ

- ٧ -

١- فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِي قُرَيْشًا رِسَالَةً وَأَفْنَاءُ قَيْسٍ حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتْ
٢- بِأَنَا تَلَاقِينَا حَنِيفَةً بَعْدَمَا أَغَارَتْ عَلَى أَهْلِ الْحَمِيِّ ثُمَّ وَلَّتْ
٣- لَقَدْ نَزَلَتْ فِي مَعْدِنِ الْبُرْمِ نَزْلَةً فَلَأَيًّا بِلَأْيٍ مِنْ أَضَاخٍ اسْتَقَلَّتْ

- ٨ -

١- خَلِيلِي مَاصِرِي عَلَى الزَّفَرَاتِ وَمَا طَاقَنِي بِالشُّوقِ وَالْعَبْرَاتِ^(٢)
٢- سَقَى وَرَعَى اللَّهُ الْأَوَانِسَ كَالدَّمَى إِذَا قُمْنَ جُنَحَ اللَّيْلِ مُبْتَهَرَاتِ^(٣)